إشكالية تأثر ديكارت بالغزالي في الفكر العربي المعاصر

عبد الواحد ابجطيط
طالب بسلك الدكتوراه
الكلية متعددة التخصصات بالناظور
بإشراف: د. علي صديقي

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى بَحْث دَعوى تَأثر رائد الفلسفة العقلانية رينيه ديكارت (1596-1650م) بأبي حامد الغزالي (450-505هـ) في الفكر العربي المعاصر؛ من خلال الوقوف عند نماذجَ من آراء الباحثين المعاصرين، وفْحص مُستنداتها، وتِبيان مشارب أصحابها، وغاياتهم في بحث المسألة؛ مَا مِن شأنه أن يُسْهم في مراجعة الأحكام الجاهزة، والدعاوى المُتناقلة في هذا الصدد. ومن ثم، انطَلق البحث من الإشكالية الآتية: كيف عالج الفكر العربي المعاصر إشكالية تأثُّر ديكارت بالغزالي؟

الكلمات المفتاحية:
الفكر العربي المعاصر - التأثير والتأثر - أبو حامد الغزالي - ديكارت...

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:
ابجطيط، عبد الواحد. (2025، يناير). إشكالية تأثر ديكارت بالغزالي في الفكر العربي المعاصر. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، العدد 1، المجلد 2، السنة 2، ص 390-411.

مقدمة:

لقد طرَق كثير من الباحثين المعاصرين العرب قضية تأثر ديكارت بأبي حامد الغزالي، وجاءت مواقفهم متعددة ومستنداتها مختلفة؛ بسبب اختلاف غايات الباحثين وأغراضهم في بحث المسألة. ومن هنا رامت هذه الدراسة الوقوف عند نماذجَ من آراء هؤلاء الباحثين، وفحْص مُستنداتها، وتِبيان مشارب أصحابها، وغاياتهم ... مَا مِن شأنه أن يُسْهم في مراجعة الأحكام الجاهزة، والدعاوى المُتناقلة في هذا الصدد. ومن ثم، انطَلق البحث، من الإشكالية الآتية: كيف عالج الفكر العربي المعاصر إشكالية تأثُّر ديكارت بالغزالي؟ وتفرَّعت عنها عدة أسئلة؛ أهمها:

أ- هل تأثر ديكارت -فعلاً- بالغزالي، أم إنَّ الحاصل لا يَتعدَّى وقوع حافِر على حافِر؟

ب- إذَا كان ديكارت قد تأثَّر بالغزالي، فبِأيّ معنى يُمكِن القول: إنه قد تأثر به؟

ج- ما طبيعة هذا التأثر؛ أهُو تأثُّرٌ مباشر (حَصَل عبر قراءة كتُبه) أم إنه عفوي تِلقائي؟

د- ما معالم هذا التأثر، وما حُدوده وقرائنه ومستنداته، في القراءات الفكرية المعاصرة للتراثين الغزَّالي والديكارتي؟

ومما شد انتباهي -حقيقة- لهذا الموضوع هو الكيفية التي تناول بها كثير من الباحثين العرب الأفكار الفلسفية للغزالي؛ إذ عِوَض دراستها في ذاتها ولذاتها والكشف عن أهميتها في سياقيها: الإسلامي والإبستيمي، اتّجهوا إلى البحث -بطريقة مُغْرِضة في أغلب الأحيان- عن أوجُه التشابه أو الاختلاف أو هُما معاً، بيْنها وبين أفكار ديكارت المتصلة بمنهجه الفلسفي -الذي بسط معالمه في كتابي: "المقال" و"التأملات"- حتى أصبحت الفكرة لدى كثيرين لا تكاد تكتسي أهميتها في سياقها العربي الإسلامي القديم ولا يكاد يُلتفَت إليها، إلا إذا وُجِد لها نظير وشبيه في الفكر الغربي الحديث !

وللإجابة عن إشكالية البحث، ارتأيتُ تقسيمه إلى مقدمة وثلاثة مطالب وخاتمة.

فأما المقدمة، فقد خصصتُها للحديث عن موضوع البحث، وإشكاليته، وأهميته، وسبب اختياره، وعَرْض خطته ومحتواه، عِلاوة على المنهج المُرتضَى في البحث.

وأما المطلب الأول، فقد استعرَضتُ فيه رأي محمود زقزوق في قضية تأثر ديكارت بالغزالي، باعتباره أول مَن قدَّم بحثاً مفصَّلاً في موضوع "المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت".

وأما المطلب الثاني، فقد ثنيتُ فيه ببيان رأي المفكرين/ الدعاة الإسلاميين (أنور الجندي، والقرضاوي، والبوطي...)، باعتبارهم أكثر مَن يَجزم بتأثُّر ديكارت -وغير ديكارت- بالغزالي، ولا تُمثل آراؤهم، سوى اتجاه واحد من حيث المنطلقات والغايات والنتائج المتوصَّل إليها...

وأما المطلب الثالث، فقد بَينتُ فيه رأي ثلة من المهتمين بالفلسفة، والدَّارسين لفكر العَلَميْن (الغزالي أو ديكارت)؛ من أمثال: زكي نجيب محمود، ومحمد عزيز الحبابي، وأحمد عبد الحليم عطية، وعبد الرحمن بدوي...

وقد راعينا في اختيار آراء الباحثين، تنوع الاهتمامات البحثية لدى أصحابها، واختلاف تخصُّصاتهم الأكاديمية. ولمَّا كان كثير ممَّن تناولوا المسألة، يَستندون إلى زقزوق في إثبات ما يُقرِّرون -لسبقه الزمني- رأيتُ أنْ أبدأ بعرِض موقفه ومناقشة مُستنداته، ليُغنينا ذلك عن تفنيد كل رأي لاحِق، والتعليق على كل موقف متأخِّر؛ إذ لَم نَكتف بتتبع الآراء واستعراضها وتِبيانها (في حدود ما يخدم غرضنا الذي لا يسمح في الوقت نفسه باستعراض نصوص الغزالي وديكارت ذاتها)، بل عملنا على فَحْصِها ومناقشتِها وتسجيل ملاحظات -حولها- مِن شَأنها أن تَفتحَ أُفقاً جديداً للتفكير في الموضوع، بعيداً عن تَكرار أحكامٍ واجترار أقوال مُرْسَلة، لا تقدِّم أي إضافة للبحث العلمي.

وأما الخاتمة، فقد ضمنتها مجموعة من النتائج التي توصَّل إليها البحث...

وبخصوص المنهج الذي اقتضته الدراسة، فهو المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على ملاحظة الظاهرة (النص) ووصفها وتحليلها...

المطلب الأول: محمود زقزوق من البحث عن تطابق أفكار الغزالي وديكارت إلى القول بالتأثير والتأثر

تجدر الإشارة إلى أن الحديث عن شكِّ الغزالي في الفكر العربي المعاصر، بَدأ أول ما بَدأ على شكل مقارنات مُستلهَمَة من دراسات المستشرقين الذين درَّسوا في مصر في بداية القرن العشرين (مثل: لويس ماسينيون، الكونت دي جلارزا)[1]؛ كان منها ما رام إثبات الفرق بين شك الغزالي وشك ديكارت؛ كما فعل زكي مبارك في رسالته الجامعية التي نُوقشت عام 1924م[2]، ومحمود الخضيري الذي زعَم عام 1930م، أن منهج ديكارت لم يَسبق إليه أحد في الشرق ولا في الغرب[3]. ومنها ما رام إبراز التشابه بين شك الرَّجُلين؛ كما فعَل

1 انظر: أحمد عبد الحليم عطية، الديكارتية في الفكر العربي المعاصر، دار الثقافة، القاهرة/ مصر، ص: 265.
2 زكي مبارك، الأخلاق عن الغزالي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، مصر، 1968، ص: 297.
3 انظر: أحمد عبد الحليم عطية، م. س، ص: 266.

محمد ثابت الفندي عام 1929[1]م، وغيره؛ بحيث "أثارت العلاقة بين الغزالي وديكارت كثيراً من المناقشات بين خريجي الدفعة الأولى من طلاب الفلسفة بالجامعة المصرية (الحكومية)، وكثُرت المقالات بين مختلف الأطراف في الدفاع عن هذه القضية، وتأكيدها أو رفضها"[2].

وهذه المناقشات جاءت -مباشرة- عَقِب تدريس منهج ديكارت في الجامعة المصرية على يد طه حسين وغيره. يذكر محمد مصطفى حلمي بأنه تعرَّف على ديكارت -هو وزملاؤه السبعة في الجامعة المصرية- في السنة الأولى من قسم الفلسفة بكلية الآداب عام 1925م، على يد طه حسين الذي كان مُعجَباً بديكارت أيَّما إعجاب. وفي السنة الثالثة (1927-1928) دَرَسوا "المقال" على يد الفيلسوف الفرنسي لالاند. وكان من ضِمن التلاميذ السبعة مترجم "المقال" إلى العربية -بعد ذلك- وهو محمد محمود الخضيري، الذي لم تكُن له ولا لزميله كاتب المقدمة (محمد مصطفى حلمي) أي إشارة إلى شك الغزالي، لا من قريب ولا من بعيد[3].

ففي مرحلة استقبال العرب للمنهج الديكارتي، والتعريف به؛ من لدُن طه حسين وآخرين في الوسط الجامعي (تعريفاً قد يصل -مع طه حسين- إلى حد الانبهار)، كان الشك الغزَّالي لا يَنظر إليه كثيرون على أنه نِدٌّ للشك الديكارتي ولا شَبيه له، ولهذا سَكَت عنه الخضيري، وحلمي...

وبعد هذه المرحلة سيُنجز محمود زقزوق (ت2020م) مُقارَنة - في الغرب بالألمانية- ويَسِمها بـ"المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت"، وهي أول مقارنة تفصيلية شاملة -حسب عِلْمي[4]- تُبرز أوجه التشابه والاختلاف بيْن منهجي الغزالي وديكارت، ولا تَقتصر على جانب واحد. والكتاب -في الأصل- رسالة جامعية، تَقدَّم بها إلى جامعة ميونيخ بألمانيا عام: 1968م ونُشرت هناك، قبل نشرها بالعربية في الوطن العربي ابتداء من عام 1973م[5].

فما حدود التشابه والتطابق بين أفكار الغزالي ديكارت في نظر زقزوق؟ وهل يمْكن القول بتأثر الثاني بالأول؟

---

1 نفسه، ص ص: 265-266.

2 نفسه، ص: 265.

3 انظر: عبد الواحد ابحطيط، الشك الغزَّالي: معالمه وأثره في بناء المعرفة، ضمن: أعمال الندوة الوطنية الموسومة، بـ: العلوم الإسلامية وأثرها في تدبير المشكلات الإنسانية وتحقيق مقصد الاستخلاف، ركاز للنشر والتوزيع، الأردن/ اربد، 2023، ص ص: 101- 102.

4 وهذا ما أكده المؤلف نفسه -بعد سنوات من نَشر كتابه بالألمانية- في مقال نُشِر بالعربية عام 1973، قائلا: "لَمْ يَحدث حتى الآن أن عقدت مقارنة إجمالية أو تفصيلية بين أفكار الفيلسوفين تبين مدى هذا الشبه وأهميته"، محمود زقزوق، الشك المنهجي عند الغزالي وديكارت وأهميته في تأسيس فلسفتهما، مجلة عالم الفكر، الكويت، عام: 1973، ص: 205.

5 في هذه السنة نَشر زقزوق الباب الثاني من رسالته في مجلة عالم الفكر الكويتية، كما هو مبيَّن في الإحالة السابقة.

بخصوص رأي زقزوق في مسألة تأثر ديكارت بالغزالي، نجد أنه لم يأخُذ هذه المسألة في حُسبانه أول مرَّة، عند كتابة رسالته، بحيث بَدَا مُتحفِّظاً وسار على نوع من الحذر الإبستمولوجي، بأنْ حَصَر مهمته، في إبراز التطابق بين أفكار كل من الغزالي وديكارت من خلال المقارنة التفصيلية بين منهجها، وحَشدَ نصوصاً كثيرة لبيان هذا التطابق.

وقد أشرف على هذه الرسالة الأستاذ راينهارد لاوت (Reinhard Lauth) وراجعها المستشرق الألماني أنطون اشبيتالر (A.Spitaler) الذي "رَفض فكرة أن يكون ديكارت قد تأثر بالغزالي، وعزا هذا التشابه في المنهج إلى أنه مجرد توافق خواطر، دون أن تكون هناك معرفة لديكارت بأفكار الغزالي"[1].

غير أن الطالب الباحث قد دفع "التهمة" على نفْسه -آنذاك- بأنْ بيَّن للمستشرق المذكور -الذي راجع رسالته-، بأن مسألة التأثير والتأثر لا تعنيه في بحثه؛ لكونها قضية تاريخية تتطلب أدلة مادية، وإنما الذي يهمه هو المقارنة الفلسفية فقط؛ لأن الموضوع -في نظره- يَحتاج إلى بحث خاص للتأكد من اطلاع ديكارت على ترجمة لـ"المنقذ"، ولن يتأتى ذلك إلا بالإجابة عن سؤال آخر، وهو: هل تُرجم "المنقذ"، كله أو بعضه، في عصر ديكارت أو قبله حتى يتسنى له الاطلاع عليه؟ وبما أن المسألة لم تُبحَث، "فإن الضمير العلمي يُوصي... بالتوقف في الحُكم"[2]، رغم تطابق أفكار الرَّجُلين.

لكن الباحث سيعدل عن رأيه هذا، بعد حوالي ثلاثة عقود من الزمن، ويقول بتأثر ديكارت بالغزالي؛ استناداً إلى "شواهد" (كما سمَّاها) قد توَصَّل إليها بعض الباحثين -على حدِّ قوله- "تُوحي بأن ديكارت تَعرَّف على نحوٍ مَا، على أفكارِ الغزالي"[3].

وبناء على ذلك، أضاف الباحث إلى كتابه، الصادر بالعربية، بعض العناوين -ابتداء من الطبعة الثالثة للكتاب- وتطرَّق لمسألة التأثير والتأثير، تحت عنوان: "التأثير الإسلامي في فلسفة العصور الوسطى"[4]؛ مُقرِراً أن الغزالي "كان له تأثير بصورة مباشرة وأحياناً بصورة غير مباشرة على عالم الفكر الأوروبي، وحتى على عالم الفكر الحديث"[5]، كما عقد عنواناً آخَر، هو: "التأثير الإسلامي في فلسفة العصر الحديث"[6]، وذَهب فيه إلى أنَّ "أولَ جوانب التأثير في العصر الحديث، ما يُمكِن أن يكُون من تأثيرٍ لفلسفة الغزالي على ديكارت"[7]. يقول

1 محمود حمدي زقزوق، المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، دار المعارف، ط: 4، القاهرة/ مصر، 1998، ص: 11 - 12.
2 محمود حمدي زقزوق، المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، م. س، ص: 15، بتصرف.
3 نفسه، ص: 15.
4 نفسه، ص: 39.
5 نفسه، ص: 42.
6 نفسه، ص: 43.
7 نفسه، ص: 43.

زقزوق في هذا الصدد: "وقد كان للشك المنهجي الذي وَضعه الغزالي بجميع خطواته أثره البالغ فيما عرفه الفكر الفلسفي بعد ذلك لدى ديكارت... فالخطوات التي سار عليها الغزالي في شكه المنهجي هي نفس الخطوات التي سار عليها ديكارت بعده بأكثر من خمسة قرون"[1].

وهكذا، فإنَّ الباحثَ قد تراجع عن موقفه الأول الذي صرَّح به للمستشرق أنطون اشبيتالر الذي راجع رسالته، وتَخَلَّى عن الحَذر الإبستمولوجي الذي طبع النسخة الأولى منها؛ مُعللاً هذا التراجع بظهور شواهد توصَّل إليها بعض الباحثين؛ مصَرِّحاً أنه ضمّنها مقدمة الطبعة الرابعة التي أحال عليها أكثر من مرة في متْن الكتاب.

وإذا عُدنا إلى تلك المقدمة، وتأملْنا الشواهد التي بَنى عليها المؤلف موقفه الأخير، وأضاف -بناء عليها- مادة معرفية إلى كتابه، أمكَن لنا تلخيصها، فيما يأتي:

1- تصريح عثمان الكعاك[2] بأن ديكارت اطّلع "على أفكار الغزالي عن طريق ترجمة لاتينية لكتاب (المنقذ من الضلال) للغزالي لا تزال موجودة في مكتبة ديكارت بالمكتبة الوطنية في باريس"[3].

ومن الجدير بالذكر، هاهنا، أن كلام الكعاك المشار إليه، قد ألقاه شفهياً في محاضرة، ضمن أعمال الملتقى العاشر للفكر الإسلامي، الذي عُقد في مدينة عنابة بالجزائر عام: 1975؛ حيث تحدَّث فيها مُفصّلاً -كما يقول البوطي (ت2013م) الذي حضَر الملتقى، وسمع المحاضرة- عن "انتحال"[4] ديكارت منهج الإمام الغزالي، وادعائه لنفسِه، وذكر الحاشية التي قرأها لديكارت بخط يده: (يُنقل هذا إلى منهجنا)[5].

ويَذكر البوطي أن المحاضِر (عثمان الكعاك) تُوفي أثناء أعمال هذا الملتقى، دون سابق إنذار مِن مَرَضٍ ونحوه، فقد وُجِد في غرفته من الفندق ميّتاً، وذلك بُعيد محاضرته التي ألقاها؛ أي بعد يوم أو يومين[6].

ومن الملاحظات التي يُمكن أن نُسجِّلها، حول هذا الكلام ومدى حُجيته، ما يأتي:

1 نفسه، ص: 44، بتصرف.

2 هو مؤرخ وباحث تونسي موسوعي، ولد بتونس عام: 1903م، وتوفي عام: 1975 بالجزائر/ عنابة؛ خلال مشاركته في المؤتمر الإسلامي العاشر الذي شارك فيه بمحاضرة بعنوان: "الأبعاد الروحية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية للعبادات وأهميتها لكل من الفرد والأمة"، كما شارك مِن قبْل في الملتقى السادس بمحاضرة بعنوان: "دور العروبة والإسلام في النهضة العلمية والأدبية والفنية والتقنية في أوروبا وأمريكا".

3 محمود حمدي زقزوق، المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، م. س، ص: 12.

4 هذه لفظة أطلقها البوطي، كما سيأتي.

5 محمد سعيد رمضان البوطي، شخصيات استوقفتني، دار الفكر المعاصر، بيروت/ لبنان، 1999، ص: 100.

6 نفسه، ص: 100.

الملاحظة الأولى: كلام الكعاك المذكور، قد أورده زقزوق في مقدمة الطبعة الثانية الصادرة عام: 1981م، ولم يقُل، آنذاك، بتأثر ديكارت بالغزالي؛ ربما لأنه اعتبَر أن الأمر يتعلق برواية شفوية لا يُمكن اعتمادها[1]. لكنه سيَفعل ذلك في الطبعتين اللاحقتين، ويتراجع عن موقفه الأول، بإتيانه ما كان قد أخرَجه من نطاق اهتمامه عند تقديم بحثه أول مرَّة. وقد رأينا دراسة زقزوق في طبعتها الثانية تنال استحسان محمد وقيدي -وهو يناقش المقارنات الفلسفية السائدة- بسَبب "أنها تحاول أن تَستند إلى الأساس الموضوعي المتمثل في النصوص، وأنها تحاول أن تبحث في حدود هذه النصوص، عما هو متماثل أو مختلف بين الأنساق الفكرية دون أن تتعدى ذلك إلى الحديث عن تأثير؛ لأن هذا الأمر يحتاج إلى دليل تاريخي"[2].

والغريب في الأمر أن هناك من الباحثين[3] مَن قالوا بتأثر ديكارت بالغزالي في فترة مبكرة، قبل أن يَقول به زقزوق نفسه بسنواتٍ، رغم أنهم استندوا على ما انتهى إليه هو في الطبعة الثانية الصادرة عام: 1981م؛ ولهذا نراهم وثّقوا كلام زقزوق من هذه الطبعة، التي صَدرت في فترة لم يَكُن زقزوق قد قال بَعدُ بالتأثير والتأثر، ولا أخْرَج كتابه في حلته الجديدة التي هي عليه الآن!

الملاحظة الثانية: يَستشهد الباحث بكلام الكعاك، مع أنه يَذكر في الصفحة نفسها أنَّ المكتبة الوطنية في باريس نَفت أن يَكون لديها ما يُسمى بمكتبة ديكارت، ونَفت وجُود الترجمة اللاتينية التي تحدَّث عنها الكعاك؛ وذلك في خطاب تلقاه عبد الصمد الشاذلي من المكتبة في 1985/08/29 رداً على استفسار عن هذا الموضوع[4]، وكأن زقزوقاً، هاهنا، يُلمح إلى أن النسخة المُشار إليها، قد سُحِبت من المكتبة[5] عن سَبْق إصرار وترصُّد، وهذا رأي كثير من المفكرين الإسلاميين ودعاة الصحوة الإسلامية؛ بل ذهب أحدهم -أبعَد مِن هذا- إلى القول -صراحة- بإمكانية اغتيال عثمان الكعاك إثر إلقائه للمحاضرة[6].

الملاحظة الثالثة: أن كلام الكعاك، في نهاية المطاف، لا يخرج عن نطاق "الادعاء"، وقد وافته المنيَّة دون أن يُثبت وجود تلك النسخة "المزعومة"، وحين لَم يُتوصَّل إليها بعد وفاته، قيل -صراحة أو تلميحاً-:

1 أشار إلى هذا الاحتمال محمد وقيدي في كتابه: بناء النظرية الفلسفية، دار الطليعة، بيروت/ لبنان، ط: 1، 1990. في هامش ص: 70.

2 نفسه، ص: 71.

3 أقصِد هاهنا تحديداً: محمود بيجو، في مقدمة تحقيقه لكتاب: المنقذ من الضلال، مراجعة: محمد سعيد رمضان البوطي وعبد القادر الأرناؤوط، دار التقوى، دمشق/ سوريا (د. ط - د. ت)، ص: 19. ويوسف القرضاوي، في كتابه: الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه، مؤسسة الرسالة، ط: 1، 200، ص: 83. والبوطي، في كتابه: "شخصيات استوقفتني، م. س، ص: 99. بل إن البوطي صرَّح بأنه نَقل عن زقزوق بواسطة بيجو.

4 محمود حمدي زقزوق، المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، م. س، ص: 12.

5 ممن قال بسحب هذه النسخة: محمد وقيدي، في كتابه: بناء النظرية الفلسفية، م. س، انظر هامش الصفحة: 70. ومحمود بيجو في مقدمة تحقيق "المنقذ"، م. س، ص: 26.

6 قال بذلك د. عدنان إبراهيم في سلسلة محاضراته على الغزالي، وهي مُسجلة على اليوتيوب.

"إن المسؤولين الفرنسيين قد تنبهوا للأمر فسَحبوا النسخة من المكتبة ومَنعوا عرْضها"[1]؛ مما يجعل البحث يدخل، مرة أخرى، في دَوَّامة "الادعاء" الذي لا يتجاوز نطاق الظن والاحتمال.

الملاحظة الرابعة: ينقل زقزوق كلام الكعاك -مُجْمَلاً- بالمعنى دون اللفظ، ثم يُحيل في الهامش إلى صفحة: 333 من المجلد الأول من "محاضرات ومناقشات الملتقى العاشر للفكر الإسلامي"؛ ذاكراً المكان (عنابة/ الجزائر)، والزمان (1396هـ/ 1976). غير أن هذا المرجع الذي أحال عليه[2] غير وارد في قائمة المراجع التي سَطَّرها في نهاية بحثه. وقد بَحثنا -من جهتنا- على محاضرات هذا الملتقى بعينه، فلَم نعثر عليها إلى حدود اللحظة.

وبذلك يبقى السؤال عالقاً حول محاضرة الكعاك التي ورد فيها هذا الكلام؛ هل قدَّمها ارتجالاً، أم قرأها من أوراق مكتوبة؟ وإذا كانت المحاضرة مكتوبة لديه -أو قُدِّمت لإدارة المؤتمر سلفاً-، فما مصير تلك الأوراق المكتوبة بعد خروج روحه؟ وهل نُشرت مداخلته كاملة حقاً في المجلد المذكور، أم إن المجلد يحتوي على عناوين، وتقارير مجمَلة فحسْب (على غرار التقارير المنجَزة عن الملتقيات الأخرى[3])؟ وإذا كانت منشورة كاملة، فلِم لَم يُنقل منها فقرة واحدة بلفظها، وتم الاكتفاء بنقل المعلومة والإحالة على المجلد، دون ذِكره ضمن قائمة مراجع كتابه. فهذه الملاحظات المتعلقة بنقل كلام الكعاك وتوثيقه، لا تبعث على الاطمئنان للمعلومة المقدَّمة. ولمَّا لم يتم نقل عبارات الكعاك بلفظها، رأينا عبارات الباحثين تختلف في وصف عمل ديكارت، وأصبحنا لا نفرِّق بين عبارات العكاك، وعبارات زقزوق، وبيجو، والبوطي... إلخ.

2- ما توصَّل إليه عبد الصمد الشاذلي:

يقول زقزوق: "توصل الشاذلي إلى شواهد توحي بتأثر ديكارت بأفكار الغزالي، فقد أشار في مقدمته للترجمة الألمانية لـ"المنقذ" إلى إثبات أن ديكارت كانت تربطه صلة صداقة ببعض المستشرقين الذين كان لديهم النص العربي لـ"المنقذ"، ومن بين هؤلاء: المستشرق الشهير جاكوب جوليوس (1667- 1596)، كما كان لدى ليفينيوس فارنر مخطوط للكتاب، وقد آل هذا المخطوط عام 1665 إلى حوزة مكتبة جامعة ليدن بهولاندا، أي بعد وفاة ديكارت بخمسة عشر عاماً فقط"[4]، ويَذكر -نقلاً عن الشاذلي أيضاً- أنَّ قسم المخطوطات العربية بالمكتبة الوطنية في باريس، يضم مخطوطاً لـ"المنقذ" أيضاً، وكان معروفاً في العصر الذي عاش فيه ديكارت[5].

1 محمود بيجو، مقدمة تحقيق "المنقذ"، م. س، ص: 26.

2 وتبعه بيجو في الإحالة عليه أيضاً -في المرجع السابق-. وقد ظن بيجو أن المؤتمر قد عُقد عام 1976؛ ربما استناداً منه لتاريخ نشر المجلد المذكور.

3 انظر مثلا: ملتقيات الفكر الإسلامي في الجزائر، منشورات معاونية العلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي، مطبعة: سبهر، طهران/ إيران، ط: 1، 1986.

4 محمود حمدي زقزوق، المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، م. س، ص: 13، بتصرف.

5 نفسه، ص: 13، بتصرف.

إن ما مجموع ما نقله زقزوق، هاهنا، يَرمي إلى القول بوجود كتاب "المنقذ" زمن ديكارت في نسختين: الأولى عربية كانت بحوزة المستشرقين، والثانية كانت في المكتبة الوطنية. وعلى افتراض أنَّ نسخة مَا، كانت موجودة زمن ديكات، فهل يَعني ذلك أنه اطلع عليها أو انتحَلها -كما قرَّر البوطي-؟ والذي يُثير انتباهنا في هذه الشواهد هو أنها -جميعها- تُشير إلى وجود كتاب "المنقذ" -وحده- زمن ديكارت واطلاعه عليه، دون أي أي إشارة إلى كُتُب أخرى؛ مما يجعلنا نتساءل: هل يمكن فهم حقيقة الشك لدى الغزالي مِن "المنقذ" وحده؟ وهل المقارَنة التفصيلية التي أجراها الدكتور زقزوق -مثلاً- كانت تقتصِر على "المنقذ" وحدَه، أم إنها تنبني على اثنيْن وعشرين كتاباً من كُتب الغزالي؟! وكذلك فَعل الدارسون اللاحقون الذين حشدوا نصوصاً مِن خارج "المنقذ" لإقرار التشابه...

ومن وجهة نظرنا، لا يُمكن أن نَتصوَّر حقيقة المنهج الغزَّالي من "المنقذ" وحده، دون الرجوع إلى كُتُب أخرى... كما لا يُمكن فهم حقيقة الشك لديه دون الرجوع -من جملة ما يجب الرجوع إليه- إلى "ميزان العمل" الذي أورَد في نهايته فقرة كاملة يدعو فيها إلى منهجه الشكّي -الذي مارسه في هذا الكتاب- وينص على معالمه؛ خصوصاً وأنَّ اختزال الشك الغزَّالي كله في لون واحد، وتصنيفه ضمن "الشك المنهجي" الذي عُرف به ديكارت غير دقيق، كما تشهد على ذلك نصوص "المنقذ" نفسها[1].

وعلى كل حال، هل يُمكن القول: إن هذه "الشواهد" (المُستنَد إليها) حسمَت أمر وقوع التأثر؟! فالظاهر أن زقزوقاً نفسه لَم يقتنع بذلك -كما سنبيّن لاحقاً-، ورغم ذلك لا أدري كيف يَستعمل زقزوق -وغيره- كلمة "إثبات" (أثبت الكعاك - أثبت الشاذلي...) كقوله: "أشار... إلى إثبات أن ديكارت كانت تربطه صلة صداقة ببعض المستشرقين الذين كان لديهم النص العربي"[2]، وكيف تَأتَّى هذا الأثبات؟ هل باشره الشاذلي نفسه، أم أثبته غيره؛ كما توحي عبارة "أشار" في كلام زقزوق؟ وعلى فرَض إثبات صلة ديكارت بالمستشرقين، فهل يَعني ذلك حتماً إثبات تأثر الفيلسوف الفرنسي بالإمام الغزالي؟ ثم إن "المنقذ" لو كان متداوَلاً، هل ستكون الاستفادة منه حكراً على ديكارت دون غيره من المفكرين الفرنسيين؟

فهذه أسئلة تظل عالقة، أمام الكلام المرسَل الذي يُردَّد في هذا الصدد، بدون فحص أو مساءلة للأحكام الشائعة، التي لا تعدو أن تَكون أقوالاً غير مؤكَّدة، وادعاءات لا تمت بصلة للبحث العلمي المتين.

ولنأتِ الآن، إلى موقف زقزوق من هذه الشواهد، فنتساءل: هل اقتنع الرجُل بها اقتناعاً كاملاً، أم إنه توسَّلها لتوسيع دائرة بحثه في اتجاهٍ كان لا يتأتى له ذلك في الغرب (وهو القول بالتأثير والتأثر)، ولتحقيق غَرض

1 انظر مقالنا الموسوم بـ: "الشك الغزَّالي: معالمه وأثره في بناء المعرفة"، م. س، ص: 96 وما بعدها.
2 محمود حمدي زقزوق، المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، م. س، ص: 13، بتصرف.

-عبَّر عنه بنفسه- يتجلى في مواجهة "مركب النقص الذي يعاني منه الكثيرون منا إزاء الغرب؛ وذلك باستعادة الثقة في أنفسنا وتراثنا بهدف أن يكون ذلك حافزاً لنا إلى الانطلاق من جديد نحو ترسيخ دعائم نهضة فكرية جديدة وبناء فلسفة إسلامية جديدة"[1]، وهذا الغرض لدى زقزوق يجعله غير بعيد عن غرض المفكرين الإسلاميين، وعلماء الشريعة والأزهر عموماً؛ ممن سنأتي على بيان موقف بعضهم في هذا البحث.

وهكذا، فإن الباحث ذهب إلى تأثر ديكارت بالغزالي؛ مُستنداً إلى شَواهدَ قال إنه ضَمَّنها في مقدمة الطبعة الرابعة، غير أننا حين نقرأ هذه المقدمة، نجده يستعرض الشواهد التي استعرضناها، ويَختم كلامه بقوله: "والموضوع لا يزال في حاجة إلى مزيد من البحث حتى يمكن التوصل إلى حكم قاطع في هذه القضية"[2]؛ مما يعني أنه غير مقتنِع بها اقتناعاً نهائياً، رغم أنه علل التراجع عن موقفه الأول بظهور شواهد جديدة! ولهذا حين يأتي باحث ويَحْكم على ديكارت بالإغارة، والانتحال، والتأثر... مستنِداً إلى ما توصَّل إليه زقزوق، يكون بذلك قد بنى موقفه على شَفَا جُرُفٍ هارٍ، لا يَحتاج إلى طُول تأمُّل حتى ينهار أمام القارئ المتريِّث الذي يَبحث عن الحقيقة بعيداً عن العاطفة التي تُوقعه -لا محالة- في فخ اللاّموضوعية؛ ومِن ثمَّ اللاعلمية. والله تعالى يقول في مُحْكَم تنزيله: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[3].

ونحن إذ وَقفنا هذه الوقفات لبيان مستنَدات زقزوق، وفَحْصِها، ليس لأمْرٍ في ذاته، وإنما لِعلمنا أن كثيراً من الباحثين حَمَلوا بعض كلام زقزوق على مَحمَل لا يَحتمله، وتحدَّثوا عن التأثير والتأثر حَديث الوقوع والثبُوت الذي لا يَقبل النقاش؛ مُعتقدين أن "الشواهد" التي أورَدَها قد حَسمَت المسألة حسماً علمياً نهائياً.

وهكذا، فعلى الرغم من أن دراسة زقزوق عملت على إبراز التطابق والتشابه بين أفكار الغزالي وديكارت على غير مثال سابق، فإنّ توسُّل تلك "الشواهد" لإثبات تأثر ديكارت بالغزالي لا تُسعفه على إقرار هذا الحُكم. وحتى لو جَزمنا بحدوث هذا التأثر، فهل هذا الجزم سيُضيف شيئاً للعلم والعِلْمية؟ وهل سيُساهم فِعلاً في تحقيق النهضة؟ فلو احتَفظ الباحث بمقصده الأول القاضي بإبراز التطابقات والاختلافات، لكان الأمر، في نظرنا، حَسَناً ومقبولاً جداً، عِوض التحجُّج بكلام مُرْسَل -في إثبات التأثر- لا يَرقى إلى درجة تُخوِّل لنا الجَزم بشيء في المسألة، لكنَّ الظروف الثقافية في وطننا العربي في العقود الأخيرة من القرن الماضي دَعتْه حين عاد من ألمانيا -كما دَعت ثلة من أبناء جيله- إلى الاتجاه نحو بيان أثر العلماء المسلمين القدامى في الفلاسفة الغربيين في القرن السابع عشر؛ بغرَض استعادة الثقة في نفوس العرب وفي تراثهم، وتحقيق نهضة فكرية جديدة، وبناء

[1] محمود حمدي زقزوق، المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، م. س، ص: 13.
[2] نفسه، ص: 13.
[3] سورة المائدة، الآية: 8.

فلسفة إسلامية جديدة. وقد حَمّله هذا كله -كما حمل غيره- على البحث عما يُثبت أسبقية العرب في التفلسف، وأسبقية الغزالي للمنهج العلمي ولـ"الفلسفة العقلانية"؛ كما سُميت فلسفة ديكارت التي دشَّنت المنهج العلمي في الفكر الغرْبي الحديث، إلى جانب الإنجليزي فرانسيس بيكون (ت1626م).

المطلب الثاني: موقف المفكرين الإسلاميين وعلماء الشريعة

لقد ذهب كثير من المفكرين الإسلاميين والباحثين في مجال الشريعة الإسلامية، إلى الجزم بتأثر ديكارت بالغزالي؛ وذلك في مَعرِض تناوُلهم للمحطات المشْرِقة في التراث الإسلامي -ومنها محطة الغزالي- بغرَض التعريف بها، وتأكيد جدواها، والاستفادة منها في النهوض بالأمَّة، وكذا بيان -في الوقت نفسه- أن الفِكر الغربيَّ المتبجَّح به (من قِبَل دعاة التغريب) ليس إلا عالة على الفكر العربي والإسلامي القديم.

ويُمكن أن نُمثل هاهنا بمواقف ثلاثة أعلام، وهم: أنور الجندي (ت2002)، ويوسف القرضاوي (ت2022م)، ومحمد سعيد رمضان البوطي (2023)، ونُضيف إليهم رأي محمود بيجو[1]، باعتباره ممن يُمثل الاتجاه نفسه.

فأما أنور الجندي، فنجده يقول بأخْذ ديكارت من الغزالي في كتابه "أسلمة المناهج والعلوم"؛ حيث رأى أن "المنهج الفلسفي لديكارت، أخِذت عناصره من نظرية الإمام الغزالي التي أوردها كتابه (المنقذ من الضلال)"[2] ويعضد الباحث رأيه بأنه قد وُجد في النسخة المترجمة إلى الفرنسية تعليق لديكارت، يُؤكد هذا المعنى[3].

ولم يَفُت الباحث أنْ يَعيبَ على طه حسين جهله بهذه النظرية، قائلاً: "ومن العجيب أن طه حسين الذي يُفترَض أنه درَس الغزالي، لم يَتبين ذلك، وظن أن ديكارت هو صاحب النظرية"[4].

وفي الاتجاه نفسه، نجد القرضاوي يقول عن الغزالي: "وحَسبُنا أنه كان له تأثيرٌ على أعظم شخصية فلسفية غربية في العصر الحديث، أعني (ديكارت) الذي يُعد أبا الفلسفة الحديثة، وقد بَدأ أثر الشك المنهجي عند الغزالي - الشك الذي يُراد به الوصول إلى اليقين - واضحاً في منهج ديكارت وقد دَلَّت دراسات الدارسين إلى التشابه الكبير بين المنهجيْن واستنتجوا أن يَكونَ اللاحق قد تأثر بالسابق، لا سيما أنَّ كتبَ الغزالي قد ترجمت إلى أوروبا... ولكنْ قد أثبت البحاثة التونسي الأستاذ عثمان كعاك - رحمه الله - أنه زار مكتبة (ديكارت) في

[1] حقق محمود بيجو عدداً من كتُب الغزالي؛ منها على سبيل المثال: "المنقذ من الضلال"، و"قانون التأويل"، و"مقاصد الفلاسفة"، و"فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة"، وقد سَجَّل رأيه في المسألة المبحوثة، في مقدمة تحقيقه لـ"المنقذ"؛ كما سيأتي بيانه.

[2] أنور الجندي، أسلمة المناهج والعلوم والقضايا والمصطلحات المعاصرة، دار الاعتصام، 1986، ص: 12.

[3] نفسه، ص: 12.

[4] نفسه، ص: 12.

باريس، فوجد فيها نسخة مترجمة من كتاب (المنقذ من الضلال) للإمام الغزالي، وقد علّق ديكارت على الأجزاء الخاصة بالشك قائلا: تنقل هذه إلى منهجنا"[1].

وبصرف النظر عمّا طبع هذه الفقرة من إضمار وتعميم، يُغنينا ما سبق عن تبيانه وإنكاره، فإننا نجد القرضاوي يوثق هذا الكلام في الإحالة هكذا: "نَقل ذلك عنه الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة"[2]، ثم يَذكر كتاب زقزوق في طبعته الثانية، بدون ذِكر التاريخ والصفحة!

أما البوطي، فقد قرّر "أن ديكارت انتحَل السيرة الذاتية التي كتبها الغزالي عن نفسِه، فيما يتعلق برحلته إلى المعرفة، ومَطبَّات الشكوك التي مرَّ بها واجتازها، ثم تبناها منهجاً صادراً عن شخصِه، وأخفى علاقة ذلك بمصدره الحقيقي -وهو الغزالي- عن أعين قرائه الأوروبيّين وأفكارهم، بغطاء غير حاجز، من تحوير بعض العبارات، وتغيير المصطلحات الإسلامية، إلى نظائرها من المصطلحات الدينية العامة"[3].

وأحال البوطي، للتدليل على صحةِ موقفه هذا، إلى ما يلي:

1- ما انتهى إليه الدكتور محمود زقزوق.

2- محاضرة[4] عثمان الكعاك التي "تحدث فيها مُفصَّلاً عن انتِحال ديكارت منهج الغزالي وادعاءه لنفسه، وذكر الحاشية التي قرأها لديكارت بخط يده"[5]. يقول البوطي: "ثم ظهرت الوثيقة التي قضت على كل احتمال تَردد في هذا الموضوع، والتي نقلها الأستاذ بيجو عن الدكتور زقزوق، من أن الباحث التونسي عثمان الكعاك، عثر في مكتبة ديكارت على ترجمة لكتاب (المنقذ) ورَأى أنَّ ديكارت استوقفته عبارة الغزالي الشهيرة: "الشكُّ أول مراتب اليقين" ووضع تحتها خطاً أحمر، ثم كتَب عندها على الهامش ما نصه: "ينقل هذا إلى منهجنا"[6].

غير أن الكعاك -كما أسلفنا القول- تُوفي أثناء هذا الملتقى، ولم يَظهَر أي أثر للنسخة التي ادَّعى وجُودها في المكتبة المعنية، التي نَفت وجود مكتبة ديكارت داخلها، وكذا وجود ترجمة لـ"المنقذ".

3- ما أورده بيجو[7] في مقدمة تحقيقه من "الشواهد" و"الوثائق" (على حد تعبير البوطي).

---

[1] يوسف القرضاوي، الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه، م. س، ص: 83.
[2] يوسف القرضاوي، الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه، م. س، ص: 83.
[3] محمد سعيد رمضان البوطي، شخصيات استوقفتني، م. س، ص: 99.
[4] كان البوطي حاضراً في هذا الملتقى، ومن الذين سمعوا هذه المحاضرة، انظر حاشية صفحة: 100 من المرجع السابق.
[5] المرجع السابق نفسه، ص: 100.
[6] محمد سعيد رمضان البوطي، شخصيات استوقفتني، م. س، ص: 99.
[7] يخلص بيجو إلى النتيجة الآتية: "ديكارت قد أغار على الغزالي غارة لم يرع فيها شيئاً، ولم يقم اعتباراً لأي قيمة"، م. س (بدون ص).

ومن الملاحَظ على كلام الباحثين الثلاثة، أن أنور الجندي يتحدث عن أخْذ الثاني من الأول؛ وكأن الشك الغزّالي أصيل والشك الدِّيكارتي تقليد؛ ولهذا عاب على طه حسين جهله بالأصل العربي الذي يفترض معرفته. أما القرضاوي فيَجزم بحصول التأثير، لكنه لَم يَزد شيئاً عما ذكره زقزوق الذي يحيل في الهامش على كتابه في طبعته الثانية، دون أن يَذكُر تاريخ صدورها، ولا الصفحة التي ورد فيها كلام زقزوق، ولا المرجع الذي نَقل فيه أبو ريدة ما نَقَل، ولا كيفَ نَقَل -هذا الأخير- ما نقل عن الكعاك.

وبذلك، يتضح أن الغموض في نَقل كلام الكعاك وتوثيقه، يمتد إلى الباحثين الذين جاءوا بعد زقزوق بطريقة تتسم بالاجترار والإضمار؛ مما يُقوِّي الاحتمال بأن مضمون محاضرة الكعاك ظل دُولَة بين الباحثين يتناقلونه بغير كثير من الدقة والاحتراز في العَزو والتوثيق؛ وكأن أمْرَ التأثير والتأثر قد حُسم مِن لدُن الكعاك والشاذلي وزقزوق... نقول هذا الكلام، ونحن نستحضر أن فهمي هويدي كان قد حضر المؤتمر المعني مُمثِّلاً جريدة الأهرام، وكتَب مقالاً حول الحادثة بعد رجوعه إلى مصر، وأخشى ما يُمكن أن يُخشى هاهنا أن يكون هناك مَن عضد رأيه بمقالات صحفية غايتها الإثارة...

أما البوطي، فمعلوم أنه من المعجَبين بشخصية الغزالي -كالقرضاوي أو أكثر-، وبتصَوُّفه، وعبقريته... وقد كان ممن سَمع محاضرة الكعاك مباشرة، واطلع على رأي بيجو وزقزوق. وقد جاء موقفه متسِماً بما يأتي:

أ- تجاوُز القول بالتأثير والتأثر، إلى القول بانتحال ديكارت السيرة الذاتية للغزالي (يقصد ما عرَضه في "المنقذ")، مع تحوير العبارات وتغيير المصطلحات... دون أي إشارة منه إلى ذلك. فالبوطي هنا لا يتحدث عن استفادة الثاني من الأول، ولا عن تأثُّرٍ به بشكل من الأشكال، بل يَصف ما حَصَل بـ"الانتحال".

ب- الإقرار بوجود وثائق وشواهد تدعّم ما انتهى إليه زقزوق، ويَقصد بالشواهد والوثائق النسخة التي تحدث عنها الكعاك، وأرقام المخطوطات التي كانت موجودة زمن ديكارت، ونص عربي كان بحوزة المستشرقين وأصدقاء ديكارت المقرَّبين، على نحو ما رأيناه في كلام زقزوق - السالف الذكر - نقلاً عن الشاذلي.

ج- الاستناد إلى رأي بيجو في مقدمة تحقيقه لـ "المنقذ"، لكنْ على الرغم من استناد البوطي إلى رأي باحث آخَر في هذا المجال، فإن بيجو أقرَّ في الكلمة الافتتاحية، لهذا التحقيق، بأن زقزوقاً هو الذي زوَّده بالمعلومات التي أورَدها في الموضوع، ورأيناه يقتبس كثيراً من كلام زقزوق، ويُورد ما أورده[1]. وأنا أستغرب كيف يَحتج البوطي بما أورده بيجو نَقلاً عن زقزوق حول الوثيقة التي تحدَّث بها الكعاك، مع أن البوطي نفسه كان حاضراً في المحاضرة؛ خصوصاً وأنهما لم يَذكرا شيئاً ذا بال في هذا الصَّدد، بل إن بيجو ظن أن المؤتمر قد

[1] انظر: الكلمة الافتتاحية لمحمد بيجو، ضمن تحقيقه للمنقذ، م. س، ص: 25.

عُقد عام: 1976، ربما استناداً إلى سنة نشر المجلد الذي بَدَا لي -والله أعلم- أنْ لا أحَد منهما (هو وزقزوق) قد حَضَر الملتقى العاشر، ولا تَصَفَّح المجلد المشار إليه مباشرة.

وقبل أنْ أختم آراء المفكرين الإسلاميين، أحب أن أؤكد نقطتين:

الأولى: أن هذا الموضوع كثُر فيه القيل والقال، والنقل والاجترار؛ لهذا نرى القرضاوي يَجزم بهذا التأثر ويُشير إلى ما انتهى إليه غيره (تصريحاً في الحاشية، أو تلميحاً في الاقتباس السابق) دون أن يُباشر البحث ويُحقق المسألة، على النحو الذي عهدناه عليه في مسائل أخرى. ونرى البوطي يقول: إن الوثيقة التي قطعت الشك باليقين، هي وثيقة الكعاك التي نقلها بيجو عن زقزوق، في حين أن هذا الأخير نفسه، أكد على أن الوثيقة المزعومة، لم يتم العثور عليها في المكتبة المعنية، وأنهى كلامه دون أن يَحسِم رأيه بحكم قاطِع!

والثانية: أن كثيراً من المفكرين الإسلاميين وحَملة الأقلام، قد اتكأوا على ما انتهى إليه زقزوق في القول بالتأثير والتأثر. فعلى الرغم من أن الرَّجُل لم يَحسم رأيه حسماً نهائياً، وأقرَّ في نهاية المطاف بأن الموضوع لا يزال في حاجة إلى مزيد من البحث، حتى يُمكن التوصل إلى حكم قاطع... فإن كثيراً من الباحثين، نسبوا إلى زقزوق والشاذلي إثبات هذا التأثير بالوثائق والشواهد! وهذا غيْرُ حاصل طبعاً. وعلى فرَض صحة تلك الاحتمالات (وليس الوثائق والشواهد)، فإن ثمة أسئلة كثيرة تَرِدُ عليها، أشرنا إلى بعضها عند إيراد موقف زقزوق المُنطَلَق منه، ونضيف إليها ملاحظة أخرى، هاهنا، ونحن نَنظُر في مواقف الجازمين بحدوث هذا التأثر؛ استناداً منهم إلى المستندات السابقة، فنقول: إذَا كان الكعاك روي بأنه عَثَر على نسخة لاتينية بالمكتبة الوطنية بفرنسا عليها عبارة ديكارت "يُنقل هذا إلى منهجنا" مكتوبة بخط يده، فلا أحَد كَلَّف نفسه عناء السؤال الآتي: كيف عَرَف الكعاك بأن هذا الخط هو خط ديكارت، ما دام أن النسخة متاحة للزوار للاطلاع؟ وكيف حَصَلت المكتبة على هذه النسخة؟...

وهكذا، يتضح من كل ما سبق، أن ما تم الاستناد إليه من قِبَل هؤلاء الباحثين (زقزوق، بيجو، القرضاوي، البوطي...) ومَن لَفَّ لفَّهُم، لا يَخرج عن نطاق الظن والاحتمال، مع أنهم أعْرَف الناس بقاعدة "ما احتمل واحتمل سَقط به الاستدلال".

المطلب الثالث: موقف المحققين والدارسين لفكر الغزالي وديكارت

هناك عدد من الباحثين العرب الذين اهتمُّوا بكُتب العَلَمَيْن؛ دراسة، وتحليلاً، وتحقيقاً. ولَم تَفُتْهُم الفرصة أن يُدلوا بدَلوِهم في مسألة التأثير والتأثر؛ حيث لامسوا قضايا تتَّصل بماهية "الشك" لدى كل من الغزالي وديكارت، وكيفية خروجهما من نفَقه، ونحو ذلك مما بنوا عليه رأيهم في القول بتأثُّر ديكارت بالغزالي، أو إنكاره، أو التوقف عن الجَزم بوُقوعه مع الإقرار بتشابه أفكار الرجُلَيْن، أو تطابقهما... إلخ.

وقد شاعت المقارنة بين شك الغزالي وشك ديكارت، وكثُرت منذ تسعينيات القرن الماضي، حتى لا يكاد يُذكر -اليوم- الشك المنهجي في مجال معرفي إلا ويُذكر معه الغزالي وديكارت؛ لاسيما في مجال "نظرية المعرفة" الذي يتعرَّض فيه الباحثون للشك (كراجح عبد الحميد الكردي[1]، وعبد الرحمن بن زيد الزبيدي[2]، وأحمد الكرساوي[3]، ومحمود زيدان[4]، وعبد الله العجيري...)، ناهيك عن أصحاب المعاجم الفلسفية[5]، والمهتمين بفكر الغزالي وتحقيق كتُبه وترجمتها؛ إذ لا يكاد يُذكر الغزالي لدى العرب، اليوم، إلا ويُذكر معه ديكارت، والعكس صحيح أيضاً.

غير أنني أود أن أقف، هاهنا، حَصْراً عند مواقف الباحثين الآتي ذِكرهم بالترتيب: وزكي نجيب محمود، ومحمد عزيز الحبابي، وأحمد عبد الحليم عطية، وعبد الرحمن بدوي. فمواقف هؤلاء أجدها تلخص -أو تكاد- الاتجاهات السائدة في هذا الموضوع برُمتها، وإن كانت مستندات الباحثين مختلفة، وغاياتهم البحثية متعددة؛ إذ لكل باحث -أو فئة من الباحثين- منطلقاته ومقاصده ومرجعياته في بحث المسألة؛ سواء صُرِّحَ بذلك أم لَم يُصَرَّح؛ مما يؤدي إلى تعدد الآراء والمواقف، ويُؤثِّر -لا مَحالة- على نتيجة البحث.

1- زكي نجيب محمود (ت1993م)

إذا عُدنا إلى كتب زكي نجيب محمود، سنجد أنه تَطرَّق للمسألة المبْحوثة، في كتابين -على الأقل-، هما: "المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري"، و"رؤية إسلامية"؛ ففي الأول نراه يُدافع عن أطروحة أنَّ كلاًّ من ديكارت وفرانسيس بيكون "يكاد لا يكون في منهجيهما نقطة واحدة، لم يُوردْها الغزالي شرطاً من شروط النظرة العلمية التي نثر أصولها على صفحات كتبه نثراً"[6]، وبعد استعراض نصوص الغزالي للتدليل على موقفه هذا، خلص إلى النتيجة الآتية: "رسم لنا الغزالي طريقاً للشك المنهجي، لا نَرى بعده شيئاً ننسبه إلى ديكارت ولا ننسبه إليه"[7].

ونجده يعود إلى هذا الموضوع في كتابه "رؤية إسلامية" -تحت عنوان: "أنا أريد إذن أنا إنسان"-، ليُقرِّر مرة أخرى أن الشَّبَه شديدٌ بَيْن الغزالي وديكارت، مِن حيث المنهج -لا من حيث المحتوى- ثم يُلفت انتباهنا بقوله: "اقرأ عن خطوات المنهج الذي يؤدي بالإنسان إلى اليقين، في كتاب (محك النظر) للغزالي، تجِد نفسك

[1] انظر: راجح عبد الحميد الكردي، نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، مكتبة المؤيد، السعودية، ط: 1، 1996، ص: 105 وما بعدها.
[2] انظر: عبد الرحمن بن زيد الزبيدي، مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، مكتبة المؤيد، السعودية، ط: 1 1996، ص: 70 وما بعدها.
[3] انظر: أحمد الكرساوي، مدخل إلى نظرية المعرفة، تكوين للدراسات والأبحاث، ص: 51.
[4] انظر: محمود زيدان، نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين، مكتبة المتنبي، 2012، ص: 176 وما بعدها.
[5] انظر مثلا: عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط: 3، 200، ص: 444.
[6] زكي نجيب محمود، المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، دار الشروق، بيروت/ لبنان، ص: 320.
[7] نفسه، ص: 326.

على وَشَك أن تتساءلَ: وماذا بقيَ بعد ذلك لديكارت؟ إذ ربما كان ركن الأساس في المنهج عندهما واحداً"[1]. ثم استعرض الباحثُ جوانب هذا التشابه المنهجي (ضرورة البدء بحقائق لا تحتمل الشك بحكم طبيعتها المنطقية ذاتها، وإقامة الدليل على وجود الله، على الطريق التي تم بها إثبات وجود النفس... إلخ)، وكذا جوانب الاختلاف في المضمون المُقدَّم مِن قِبَل كل منهما[2]؛ لإيمانه بأن الشبَه على مستوى المنهج الفلسفي دون المضمون المعرفي، وهذه ملاحظة انفرد الباحث بالتنصيص عليها صراحة.

2- محمد عزيز الحبابي (ت1993م):

يذهب محمد عزيز الحبابي إلى "أنه ليس من الغريب أن يَشترك مفكرون من ثقافات وأزمنة مختلفة في آراء ونظريات، إما عن طريق المصادفة (وقوع الحافر على الحافر)، وإما عن طريق التفاعل والمثاقفة (التأثير المباشر أو غير المباشر). وقد وقع شيء بيْن الغزالي وبعض المفكرين الأوروبيين يصعب تسميته "تأثيراً" لكنه متشابه مُدهِش في بعض الحالات، وإنْ لَم يَقُم على نسق نظري بعيد المَدى، وإنما هي حدسيات قابلة للمقارنات"[3].

ويؤكد الحبابي "سبب رفض استعمال "تأثير" هو أننا لا نعثر على طريق يوصلنا إلى القنوات التاريخية التي وقع من خلالها اتصال الغزالية بالفكر الغربي. فمن المحَقَّق تاريخياً أن "رشدية لاتينية" قد انتشرت بأوروبا، ما بين مريدين ومقاومين. أما "غزالية لاتينية" فلا توجد قط. وإن فوجئنا بنقط تلاق بين محدثين وأبي حامد، مما يبيح افتراضات"[4].

وإذا كان الحبابي يُقر بجوانب التشابه، بين الغزالي وديكارت، فإنه يبْرِز في المقابل بعض الاختلافات بينهما، سواء من حيث طبيعة منهج الشك عند كل واحد منهما، أو من حيث أهداف الشك ونتائجه في تفكيرهما[5]. يقول: "إن الشك الديكارتي شك منهجي ومؤقت، أما شك الغزالي وإن كان منهجياً، قد انقلب من وسيلة إلى غاية، وليس مؤقتاً، بل قاراً. إنه شك وجودي. للأول دينامية يمكن أن يقوم به أي فرد ويعتمده

[1] زكي نجيب محمود، رؤية إسلامية، دار الشروق، بيروت/ لبنان، ط: 2، 1993، ص: 116.
[2] نفسه، ص: 116 وما بعدها.
[3] محمد عزيز الحبابي، إلى أي مدى أثر الغزالي في الفكر الأوروبي؟، ضمن كتاب: أبو حامد الغزالي، دراسات في فكره وعصره وتأثيره، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم: 9، ص: 217.
[4] نفسه، ص: 218.
[5] محمد وقيدي، بناء النظرية الفلسفية، م. س، ص: 72.

منهجياً، أما الثاني فخاص، لا يقوم به إلا من له استعداد لتحمل نتائجه: التخلي عن عالم المحسوسات وعن عالم المعقولات، والابتعاد عن العقل، قصد التعلق بمجاهدات ومشاهدات التصوف"[1].

وبذلك، ينتهي الحبابي إلى أن مسألة التأثير والتأثر من المسائل التي يَصعب إقرارها، وإنّ كان التلاقي والتشابه الملاحَظ يُبيح افتراضات مَا؛ لأنه لَم يُعرَف اتصال "الغزَّالية اللاتينية" بأوروبا؛ على غِرار "الرُّشدية"...

3- أحمد عبد الحليم عطية:

تطرق لإشكالية تأثر ديكارت بالفلاسفة المسلمين (، الغزالي، ابن سينا، ابن طفيل...)؛ وذلك في كتابه "الديكارتية في الفكر العربي المعاصر" الذي بدا فيه غير راض عن المقارنات الفلسفية السائدة؛ مُنطلِقاً مِن أن "الفكر الفلسفي تراثٌ إنسانيٌّ متكامِل يبني فيه اللاحق ويكمل ما بدأه السابق في حوار خلاق بين الأفكار المختلفة"[2] ومن ثَم، فإنّ "إرجاع أفكار وفلسفات معينة لأصول سابقة عليها، والجزم بأنها المصدر الأساسي لهذه الفلسفة أو تلك، فهي مسألة تجاوزها العلم وأصبحت علاقة التأثير إحدى مخلفات المنهج التاريخي التي لا تقوم على التحقق العلمي"[3]، فـ"التحقق العلمي من مسألة التأثير والتأثر يحتاج إلى كثير جداً من الأدوات التي قد لا يَمتلكها مَن يلقي بهذه الأحكام السريعة"[4].

4- عبد الرحمن بدوي (ت2002م):

وإذا كان أحمد عبد الحليم عطية -وغيره- ممن لا يُناصر فكرة إرجاع الفكر الديكارتي إلى الفلاسفة المسلمين بشكل قاطع، ولا يميل إلى الحكم بتأثر ديكارت بالغزالي أو بغيره؛ نظراً للمَزالق التي تحيط بعملية المقارنة، فإنَّ عبد الرحمن بدوي يذهب أبْعَد من ذلك، فيقرِّر في دراسة له بعنوان "أوهام حول الغزالي"[5] أنّ الزعم بأنّ شك الغزالي يشْبِه شك ديكارت، هو مجرد وهْم من الأوهام، وأنّ ادعاء هذا التشابه "عبث صبياني لا يليق بعاقل أن يَخُوض فيه"؛ لأن دوافعه كاذبة، لا طائل من ورائها[6].

---

[1] محمد عزيز الحبابي، إلى أي مدى أثر الغزالي في الفكر الأوروبي، م. س، ص: 220.

[2] أحمد عبد الحليم عطية: الديكارتية في الفكر العربي المعاصر، م. س، ص: 264.

[3] نفسه، ص: 264.

[4] نفسه، ص: 264.

[5] هذه الدراسة تقع ضمن كتاب ضمن كتاب: أبو حامد الغزالي، دراسات في فكره وعصره وتأثيره، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم: 9 (بدون ص).

[6] المرجع السابق نفسه.

فهو في هذه الدراسة لا ينفي وقوع تأثر ديكارت بأبي حامد فحَسب، بل ينفي جَدوى تلك المقارنات المنجَزة كلها، ويَرى أنه لا طائل مِن ورائها... ويُعلل موقفه من خلال بيان أوجه الاختلاف بين شك الغزالي وشك ديكارت. ويُمكن، هاهنا، أن نلخص ما ذَكره يدوي فيما يأتي:

شك الغزالي	شك ديكارت
- مجرد حالة نفسية طرَأت عليه من تأمل المعرفة بنوعيها: الحسية والعقلية. - لم ينتقل الغزالي من الشك إلى اليقين بالدليل العقلي المنظَّم، بل "بنور قذفه الله في الصدر"، أي بأمر فوق عقلي. بل ليس عنده أي انتقال، بل ثم وثبة هائلة فوق هاوية تفصل بين الشك واليقين، بين العقل والنور الإلهي، بين المعقول واللامعقول. - شك يؤدي إلى التصوف، أي إلى أمور غير عقلية، ولا منطقية...	- يؤدي إلى اليقين بخطوات عقلية حذرة، تبدأ من أرض راسخة هي "الكوجيطو" لتنتقل منها إلى الحقائق العقلية المستنبطة منها استنباطاً عقلياً محكَماً. - الغاية من البحث العقلي عنده هي الرياضيات الكلية... - شك يؤدي إلى: اختراع الهندسة التحليلية - وضع مبادئ للميكانيكا - إدخال الكم في تصور المكان - ترجمة الوقائع الهندسية بمعادلات جبرية - تفسير ظواهر الكون تفسيراً رياضياً.

أمَّا تأكيد الغزالي وديكارت معاً على نبذ الأفكار السائدة والتقليد... فـ"إن التشابه بين كلامهما تشابه في الظاهر فحسب، بينما مقصد كل واحد منهما يختلف عن الآخر. فديكارت يتحدث عن الآراء التي تلقاها في العلوم المختلفة، أما الغزالي فيتحدث عن المعتقدات الدينية، التي نتلقاها عن الآباء والمعلمين في الطفولة وريعان الصبا: فهو هنا يقصد ما يقصده الفقهاء من الدعوة إلى الاجتهاد، بدلاً من التقليد. أما ديكارت فيريد التخلص من النظريات العلمية المنقولة كي نمحصها من بعد بالبيان العقلي وبالاستنباط المنطقي"[1].

ومن الملاحَظ أن آراء هذا الفريق من الباحثين في الفلسفة خاصة، تستنِد إلى النصوص لا إلى النُّقول عن الأغيار، ويتولى كل باحث تأويل النصوص التي يستعرضها -أو ينتقيها بالأحرى-. ويُمكن إجمال المياسم التي اتسمت بها مواقفهم فيما يأتي:

أ- الحذر الإبستمولوجي في الحكم النهائي بوقوع التأثير والتأثر، وإنْ وصَل التشابه في بعض أفكار العَلَمين ما وصَل إليه من التطابق "الشديد" و"المدْهِش"؛ كما وُصِف.

[1] عبد الرحمن بدوي، أوهام حول الغزالي، ضمن كتاب ضمن كتاب: أبو حامد الغزالي، دراسات في فكره وعصره وتأثيره، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم: 9.

ب- تعدد الآراء والمواقف؛ ما بيْن مَن لا يَرى حَرجاً في المقارنة التي تنشد الموضوعية فيأتيها، مع تحفُّظ في الحُكم (تتفاوت درجاته ومستنَداته من باحث لآخَر) بتأثر ديكارت بالغزالي، ويَكتفي بعَرْض رأيه معضوداً بالنصوص... وبيْن مَن يَرفض المقارنات المقدَّمة جُملة وتفصيلاً، ويرى أنه لا طائل من ورائها، وينفي أي شَبه بين شك الغزالي وشك ديكارت. وهذا الموقف الأخير يُمثله عبد الرحمن بدوي.

ج- تعدد المستندات والتعليلات: يعلل الحبابي موقفه -بعدم القول بالتأثر- بعدم ثبوت اتصال الفكر الغزَّالي بالفكر الغربي، ولا ترجمته. بينما يعلل عطية موقفه بعدم إمكانية التحقق العلمي من ثبوت التأثر. أما زكي نجيب محمود فهو يَنفي أي تشابه على مستوى المضامين ويحصره في المنهج فقط؛ ولهذا يحشد النصوص ليبيّن أن الخطوات التي سار عليها الثاني هي الخطوات نفسها لدى الغزالي، لكنْ دون أن يُصرّح بموقفه، ويَجزم بالتأثُّر. أما بدوي، فلا يَرى أي تشابه بينهما؛ ناهيك عن أن يَعترف بتأثُّر مَا؛ ومِن ثمَّ رأيناه ينتقي نصوص تُسعفه على إقرار هذا الرأي، ويُحتجج بغايات كل واحِد، ويستنتج فروقات بين منهجيهما، ويَبسط ذلك كله في صفحتين!

خاتمة:

من خلال ما سبق، يتضح أن بحث مسألة تأثر ديكارت بالغزالي في الفكر العربي المعاصر، مهّدت له عدة مقارنات جزئية -في مرحلة استقبال المنهج الديكارتي، أول مرَّة، والإعجاب به- رامت إثبات التشابه بين أفكار العلَمين أو نفيه... لِتأخُذ المقارنة شكلاً مفصَّلاً محايداً -بعد ذلك- مع زقزوق، تهدف إلى إبراز مظاهر التشابه ومظاهر الاختلاف معاً. ليُستأنف نقاش المسألة بعد ذلك في مرحلة أخرى (ما بعد استقبال الديكارتية) احتاج الأمر معها إلى إعادة الثقة بالتراث العربي، وبيان مواطن قوته، وتميزه، وعبقرية أعلامه... إلخ.

ومن ثَمَّ يُمكن لنا الحديث عن أربع مراحل كبرى لبحث إشكالية تأثر ديكارت بالغزالي في الفكر العربي المعاصر، وهي:

- مرحلة التمهيد: مع زكي مبارك عام 2924م وجيله من تلامذة طه حسين خاصة، وكان البحث في هذه المرحلة متجِهاً نحو بيان الاختلافات أو إثبات التشابهات بين الشك لدى كل منهما.

- مرحلة المقارنة التفصيلية: مع زقزوق عام 1968م، اتجه البحث فيها إلى المقارنة الشاملة والتفصيلية، من خلال إبراز التشابهات/ التطابقات، والاختلافات معاً، دون القول بالتأثير والتأثر.

- مرحلة استئناف البحث والتنقيب عن الأدلة المادية: مع عثمان الكعاك عام 1975م، ومجهودات مصطفى الشاذلي... وهذه المحطة كانت محفزة لظهور أبحاث تتضمَّن أحكاماً مُغْرِضة.

- مرحلة الدراسة والتحليل: التي دشَّنها زقزوق في الغرب -كما أشرنا- لكنه انتهى بعد حوالي ثلاثة عقود من الزمن إلى القول بالتأثير والتأثر؛ استناداً إلى شواهد (توصّل إليها الكعاك والشاذلي) رأينا أنها لا تُخوِّل لنا الجزم بتأثر الثاني بالأول. في هذه المرحلة -الأخيرة- سيتوسع بحث الشك لدى كل من الغزالي وديكارت ومقارنتها، ويُطرق هذا النقاش في مؤلفات كثيرة وفي مجالات عديدة، يُمكن أن نختزل اتجاهات الباحثين في هذه المرحلة على الشكل الآتي:

أ. فريق - من المفكرين الإسلاميين - يكتفي بترديد ما انتهى إليه زقزوق -وغيره- وتعميم الأحكام السابقة، ويجزم بتأثر ديكارت بالغزالي دون مباشرة البحث في الفلسفة التي أنتجت الأفكار، وتحليل النصوص، وتأويلها... وجاءت محاولات هؤلاء في سياق السجال بين الشرق والغرب، ومقاومة دعاة التغريب...

ب. فريق - من الباحثين في الفلسفة - يتحفَّظ في الحكم بالتأثير والتأثر، ويكتفي بالإقرار بالتشابه الشديد بين أفكار الرجُلين، دون إنكار الاختلافات، وإن كانت عبارات زكي نجيب محمود تقتضي تجريد ديكارت من أي فضل، لكنه لا يُصرّح بوقوع تأثر ما، ولا يجزم بذلك جزْماً واضحاً، ولا يتهم الفيلسوف الفرنسي لا بالانتحال ولا بالإغارة.

وقد تميز هذا الفريق بمباشرة البحث، وممارسة تأويل النصوص، والحكم -بغير التأثير والتأثر- في ضوئها، بدون اجترار أحكام سابقة؛ خصوصاً وأنهم ناقشوا المسألة في سياق بحث الفلسفة الإسلامية على وجه الخصوص. والمشترك بين هذا الفريق هو التحفظ في القول بالتأثير والتأثر، والاستنتاج في ضوء النصوص المستعرَضة، لا من خلال ما قاله الكعاك والشاذلي...

ج. باحث - هو عبد الرحمن بدوي - يناهض فكرة المقارنة أصلاً، ويعدّها وهماً من الأوهام، ولا يَرى أي شبه بين الشكين...

أما عن دوافع البحث -من لدن الباحثين قاطبة من 1924 إلى اليوم- في الموضوع المبحوث، والأغراض الأساسية الداعية إليه، فيُمكن إجمالها فيما يأتي:

أ- الدفاع عن أسبقية ديكارت وأولويته؛ تحت تأثير الانبهار الذي عرفته مرحلة استقبال الديكارتية في الجامعة المصرية.

ب- رد الاعتبار للتراث العربي الإسلامي المهمَّش، والتعريف بمحطاته وأعلامه، والرغبة في تحقيق نهضة فكرية عربية أصيلة، في غمرة التغريب والانبهار بالفكر الغربي، وادعاء عدم صلاحية كل قديم/ تراث.

ج- نقض المقارنات المقدَّمة، وبيان عدم جدواها وفساد دوافعها ومنطلقاتها، مع عبد الرحمن بدوي.

د- مساءلة المقارنات الفلسفية السائدة ونقدها، على أساس "الموضوعية" ونحو ذلك من المعايير، مع محمد وقيدي.

لائحة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع طريق الأزرق.

أ- الكتب:

- أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، تحقيق: محمود بيجو، مراجعة: محمد سعيد رمضان البوطي وعبد القادر الأرناؤوط، دار التقوى، دمشق/ سوريا (د. ط - د. ت).
- أحمد عبد الحليم عطية، الديكارتية في الفكر العربي المعاصر، دار الثقافة، القاهرة/ مصر.
- أنور الجندي، أسلمة المناهج والعلوم والقضايا والمصطلحات المعاصرة، دار الاعتصام، 1986.
- زكي نجيب محمود:
  - رؤية إسلامية، دار الشروق، بيروت/ لبنان، ط: 2، 1993.
  - المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، دار الشروق، بيروت/ لبنان.
- زكي مبارك، الأخلاق عن الغزالي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، مصر، 1968.
- عبد الرحمن بدوي، أوهام حول الغزالي، ضمن كتاب: أبو حامد الغزالي، دراسات في فكره وعصره وتأثيره، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم: 9.
- عبد الواحد ابجطيط، الشك الغزّالي: معالمه وأثره في بناء المعرفة، ضمن: أعمال الندوة الوطنية الموسومة، بـ: العلوم الإسلامية وأثرها في تدبير المشكلات الإنسانية وتحقيق مقصد الاستخلاف، ركاز للنشر والتوزيع، الأردن/ اربد، 2023.
- محمد سعيد رمضان البوطي، شخصيات استوقفتني، دار الفكر المعاصر، بيروت/ لبنان، 1999.
- محمد عزيز الحبابي، إلى أي مدى أثر الغزالي في الفكر الأروبي، ضمن كتاب: أبو حامد الغزالي، دراسات في فكره وعصره وتأثيره، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم: 9.

- محمد وقيدي، بناء النظرية الفلسفية، دار الطليعة، بيروت/ لبنان، ط: 1، 1990.
- محمود زقزوق، المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، دار المعارف، ط: 4، القاهرة/ مصر، 1998.
- يوسف القرضاوي، الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه، مؤسسة الرسالة، ط: 1، 2000.

ب- المجلة:

- محمود زقزوق، الشك المنهجي عند الغزالي وديكارت وأهميته في تأسيس فلسفتهما، مجلة عالم الفكر، الكويت، عام: 1973.